تزامن ميلاد المسيح بأضطهاده هو وأتباعه

مقدمة :

تزامن صوم الميلاد ، وعيد الميلاد المجيد ، هذا العام وهذا العيد , بالاعتداءات والتفجيرات الإرهابية ، التى ضربت كنيسة القديسين بطرس وبولس – الشهيرة بالبطرسية – بالكاتدرائية المرقسية – بالعباسية – القاهرة.

وعلى أثرها سقط ضحايا كثيرون بالكنيسة ، وهم يقدمون عباداتهم لله ، ما بين سبعة وعشرين شهيداً ، وأكثر من خمسين مصاباً .

لذلك ترتب على الحادث ، تحويل الأوقات المقدسة التى للأصوم والأعياد ، إلى أوقات تعدى وتفجير, وتدمير وموت وإصابة ، للناس والمقدسات , وتحويل أوقات العبادة والاحتفال بالعيد ، إلى أوقات ألم وأوجاع وبكاء وأحزان ، بدلاً من الأفراح والتهليل .

طالباً من الله للشهداء ، الراحة فى فردوس النعيم ، والشفاء العاجل للمصابين ، والعزاء لأسرهم وذويهم .

ولكم جميعاً ، ولبلادنا مصر ، ولكل العالم ، البركة والخير و التقدم والازدهار .

أود أن أتكلم معكم فى هذا العيد عن :

تزامن ميلاد المسيح ، باضطهاده هو وأتباعه .

أولاً - أمثلة لاضطهاد المسيح وأتباعه :

وقت أن سمع وعلم الشيطان , ببشارة رئيس الملائكة جبرائيل للسيدة العذراء ، وذلك بحبلها وولادتها للمسيح له المجد , بدأ في اضطهاده للمسيح ، وذلك فى :

١ - إعطاء شكوك ليوسف النجار .

من جهة حبل العذراء به ، ولذا قال الكتاب : « يوسف رجلها ، إذ كان باراً ، ولم يشأ أن يشهربها ، أراد تخليتها سراً » (مت ١ : ١٩) . لكن الرب لم يتخلى عن يوسف البار ، ويتركه لشيطان الشك ، بل أرسل له ملاكاً وأزال عنه الشكوك الخاصة بالحبل : « لأن الذى حبل به فيها ، هو من الروح القدس . فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم . وهذا كله كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل : هوذا العذراء ، تحبل وتلد ابناً ، ويدعون اسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا » (مت ١ : ٢٠ – ٢٣) .

وما جاء من جوانب سامية فى البشارة عن شخص المسيح ، وما يقدمه من نعم وعطايا للبشرية ، بالرغم من أنه لم يولد بعد ، استشاط الشيطان حقداً وغضباً على المسيح .

٢ - آخذاً صورة تنين عظيم أحمر، ظاناً منه إمكانية التخلص منه .

وهذا ما ذكره لنا سفر الرؤيا : « هوذا تنين عظيم أحمر ... وقف أمام المرأة العتيده أن تلد ، حتى يبتلع ولدها متى ولدت » (رؤ ١٢ : ٣ – ٤) .

لكن من المعروف عن الشيطان فى اضطهاده للمسيح وللمسيحيين، أنه لم يكتفى بنفسه فقط ، بل :

٣ - يجند بنفسه أتباعاً له من البشر .

مثال ذلك هيرودس ملك اليهود ، الذى كان ملكاً على اليهودية ، فى أوقات حبل العذراء بالمسيح وولادتها له ، حركه الشيطان ، واعزاً فى قلبه ، بأن المسيح جاء ملكاً أرضياً ، مريداً أخذ الملك والمملكة منه .

فخوفاً على ملكه ومملكته ، يقول الكتاب عن هيرودس : « أنه اضطرب ، وجميع أورشليم معه » (مت ٢ : ٣) . لذلك : « دعا المجوس سراً ، وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر » (مت ٢ : ٧) . وتظاهر على غير الحقيقة ، وكذب على المجوس ، وكلفهم بالبحث عن المسيح ، لا لكى يسجد له كما ادعى ، بل لكى يتخلص منه : « اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومتى وجدتموه ، فاخبرونى ، لكى آتى أنا أيضاً وأسجد له » (مت ٢ : ٨) .

فنظراً لعلم ملاك الرب بمكر هيرودس ، ونيته الشريرة تجاه المسيح : « أوحى اليهم فى حلم , أن لا يرجعوا إلى هيرودس ، انصرفوا فى طريق أخرى إلى كورتهم » (مت ٢ : ١٢) .

ولم يكتفى ملاك الرب ، بمنع المجوس من الرجوع إلى هيرودس ، بل أيضاً أمر يوسف البار فى حلم ، بأن : « يأخذ الصبى وأمه ، ويهرب إلى أرض مصر ... لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى

ليهلكه . فقام وأخذ الصبى وأمه ليلاً ، وانصرف إلى مصر . وكان هناك حتى وفاة هيرودس »
(مت ٢ : ١٣ – ١٥) .
وفي النهاية لأن المجوس لم يرشدوا هيرودس , إلى مكان ميلاد المسيح ، لكي يتخلص منه ، يقول الكتاب عنه : « غضب جداً ، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم ، وفي كل تخومها ، من ابن سنتين فما دون ، بحسب الزمان الذي تحققه من المجوس » (مت ٢ : ١٦) . وكان عدد الأطفال الذين قتلهم هيرودس ، لأنه لم يعرف مكان وجود السيد المسيح : « مائة وأربعة وأربعون ألفاً »
(رؤ ١٤ : ١ ، ٣) .

ثانياً – رسائل المسيح :

بالرغم من أن رسالة السيد المسيح ، وقت أن جاءت للعالم ، كانت ومازالت وستظل ، تحمل عدة رسائل فى مقدمتها :

١ - رسالة محبة لا كراهية , لجميع الناس .

لذلك أوصانا بمحبة القريب كالنفس ، بقوله :« تحب قريبك كنفسك »(مز ١٢ : ٣١) – وبمحبة الأعداء ، محبة عملية : « أحبوا أعداءكم , باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (مت ٥ : ٤٤) .

وكذلك جاءت رسالة المسيح للعالم :

٢ - رسالة قبول للآخر واحترام لكل جوانب حياته .

مثال لقبول الآخر ، واحترام لكل جوانب حياته : فنقبل الآخر ونحترمه ، من جهة جنسه وجنسيته وعرقه ولونه ، وديانته ومعتقده , وخصوصيته وحريته .

ومن بين رسائل المسيح الهامة ، التي جاء بها إلى الناس ، هي :

٣ - رسالة السلام .

لذلك في وقت ميلاده، أنشدت الملائكة بالسلام قائلة : « المجد لله في الأعالي , وعلى الأرض السلام ، وفي الناس المسرة » (لو ٢ : ١٤). وأوصانا أن نحيا بسلام مع جميع الناس ، على لسان معلمنا بولس الرسول : « إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم , سالموا جميع الناس » (رو ١٢ : ١٨) . ونعطيهم السلام ، وقت أن نلتقي بهم : « وأي بيت دخلتموه ، فقولوا أولاً سلام لهذا البيت »
(لو ١٠ : ٥) .

بالإضافة إلى ذلك :

٤ - رسالة التوبة والتحرر من الخطية .

نادي المسيح بالتوبة للناس : « لم آت لأدعو أبراراً ، بل خطاة إلى التوبة » (مت ٩ : ١٣) . لأن الخطية عبودية ، أما من يتوب عنها فيتحرر منها : « كل من يعمل الخطية ، هو عبد للخطية .... إن حرركم الابن ، فبالحقيقة يكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٤ ، ٣٦) . فالإنسان بالتوبة يتحرر من الخطية والشيطان . فلنجاهد بصلواتنا وأصوامنا ، لنثبت في التوبة . « والحرية التي حررنا بها المسيح » (غل ٥ : ١) . فالتوبة والحرية ، كانت ولا تزال جانباً من جوانب رسالة المسيح ، يقدمها مجاناً لكل من يريد ويقبل .

ومن الرسائل الجوهرية ، التي جاء من أجلها المسيح ، هي :

٥ - رسالة الفداء والخلاص مجاناً , لجميع الناس .

ويتضح هذا في قوله : « ابن الإنسان ، لم يأت ليُخدم بل ليَخدم ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين »
(مت ٢٠ : ٢٨) . وفي موضع آخر ، يشهد على أن رسالته ، هي رسالة للخلاص : « ابن الإنسان قد جاء , لكي يخلص ما قد هلك » (مت ١٨ : ١١) . ولا يمكن أن يحدث فداء أو خلاص للإنسان إلا بواسطة المسيح ومن خلاله : « ليس بأحد غيره الخلاص ، لأن ليس اسم آخر تحت السماء ، قد أعطي من بين الناس ، به ينبغي أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) . وهذا الفداء وهذا الخلاص ، ينالهما الإنسان من المسيح ، بواسطة الطرق المؤدية للخلاص ، التي وضعها المسيح كأسس في الحياة معه .

ثالثاً – لماذا الشيطان وأتباعه ، يضطهدون المسيح وأتباعه :

بلا شك هناك أسباب حقيقية ، لاضطهاد الشيطان ، وأتباعه ، للمسيح وأتباعه ، ولا يمكن عدم حدوث ذلك !!

١ - الصفات الإلهية .

لأن الشيطان بصفته كملاك ، يعلم ويعرف الصفات الإلهية التى يتصف بها المسيح ، ومذكورة عنه فى الكتاب المقدس ، والتى ذكرت عنه وقت بشارة العذراء بالحبل به وولادته ، منها : الأقنوم الثانى فى الذات الإلهية - الرب – عمانوئيل – الله الظاهر فى الجسد- المعصوم من الخطايا – القدوس – الفادى – المخلص .... إلخ كل هذه الصفات الإلهية التى يتصف بها المسيح ، تثير حقد واضطهاد الشيطان للمسيح ولأتباعه . إلا أنه أمام هذه الصفات الإلهية وسلطانه الربانى الذى لا مثيل له ، يحترق الشيطان ويتطاير مثل الدخان .

ننتقل إلى :

٢ – ألقاب المسيح .

هناك ألقاب كثيرة للمسيح ، نذكر منها على سبيل المثال : ملك السلام ، ملك الملوك ، ورب الأرباب ، حمل الله حامل خطايا العالم ، مانح الحياة الجسدية والروحية – الديان ..... إلخ

٣ – أعمال المسيح .

من بين أعمال المسيح : التجسد والفداء – شفاء المرض – إخراج الشياطين – إسكات الرياح والبحر – إقامة الموتى – الفداء - الكفارة – الغفران – الخلاص , كل هذه الألقاب وهذه الأعمال ، يعرفها ويعلمها الشيطان ويقشعر منها ، إلا أنه لا يحب المسيح ولا أولاده ، ويظهر الحقد والحسد والكراهية ، وذلك فى الفخاخ والشباك والمؤمرات ، التي ينصبها للمسيح ولمقدساته ولأولاده في كل زمان ومكان .

٤ - النعم والعطايا التي قدمها ويقدمها المسيح للبشريه .

قدم المسيح له المجد نعماً وعطايا للبشرية ،وهي مثال : تجسده في صورة إنسان – وصلبه وموته نيابة عن البشر على الصليب – وترتب على صلبه وموته ، تقديم عدة عطايا للإنسانية في مقدمتها الفداء – الكفارة – الغفران – الخلاص . وكل هذه النعم قدمها مجاناً للكل ، ومن الممكن أن يستفيد من بركاتها كل إنسان ، ولكن بشرط الإيمان بالمسيح أولاً ، أي يؤمن الإنسان بالمسيح ويطلب هذه النعم ، فتعطى له من خلال الأسرار الكنسية مثال سر المعمودية – سر المسحة المقدسة – سر التناول – سر التوبة والاعتراف . بالإضافة إلى العمل بوصايا الله ، والجهاد الروحي بالصلوات والعمل الصالح .

كل هذه النعم والعطايا ، التي قدمها ويقدمها المسيح لنا بصفة دائمة ، لها أهمية كبيرة في حياتنا ، منها : تخلق إنساناً جديداً بالمعمودية ، بدلاً من الإنسان العتيق : ((إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت ، هوذا الكل قد صار جديداً)) (٢ كو ٥ : ١٧) .

وتعطينا طبيعة جديدة للإنسانية الحقيقية ، وكل المقومات الروحية التي تساعد الإنسان ، على أن يكون إنساناً روحياً متميزاً عن غيره , وتظهر ثمار هذه الطبيعة الجديدة في حياه الإنسان مع الله ، وتعاملاته مع الآخرين . وسلوكه وأعماله عموماً .

ومع ذلك عطايا المسيح للإنسان ، لم تتوقف عند هذه العطية ، بل هو دائم يعطي له حباً إذا جحد ، وإرشاداً اذا شرد عن الطريق المستقيم ، وغفراناً أذا أخطأ ، وأحتضاناً إذا ضل – وشبعاً وارتواءً روحياً للجائع والعطشان ، ورعاية بصفة دائمة ، وذلك من خلال وصاياه ، ونعمة التي تقدمها الكنيسة للرعية .

كل هذه النعم الإلهية التي يقدمها المسيح للإنسان مجاناً وتأثيرها على حياته ، وما يترتب عليها من إعداد أناس روحانيين ، نافعين للمجتمع والوطن والإنسانية والكنيسة والله وملكوته .

ختاماً :

كل هذه الأمور وأمثالها ، تدفع الشيطان وأعوانه ، للغيرة الخاطئة ، والحسد القاتل ، للتعدي على الله ومقدساته وأبنائه ، في كل زمان ومكان وجيل . طالبين من الله ، أن يتعامل مع القلوب ليغيرها لتعرف الطريق الصحيح ، لتبعد عن الشر وتعمل الخير .

وأن يحفظ بلادنا من كل شر ومكروه ويجعلها في صفوف الدول المتقدمة ، في ظل قيادة رئيسنا المحبوب ، عبد الفتاح السيسي .

لإلهنا المجد الدائم .

الأنبا أغاثون

أسقف كرسى مغاغه والعدوة

ورئيس رابطة خريجى الكلية الإكليريكية